



الكرسي الرسولي

كلمة قِدَاسَةِ الْبَابَا بِنْدِكْتَسُ السَّادِسَ عَشَرَ

إلى الْجَمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ لِلإِتْرِبُولِ

يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمَوْافِقَ 9 نَوْفَمِير/تَشْرِينِ ثَانِي 2012

أَبَهَا السَّادَةَ الْمَسْؤُولُونَ،

السِّدَاتِ وَالسَّادَةَ الْمُحْتَرَمُونَ،

سَعِيدٌ بِاسْتِقْبَالِكُمْ فِي نَهَايَةِ الْجَمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ لِلإِتْرِبُولِ، وَالَّتِي جَمَعَتْ فِي رُومَا الْمُمَثِّلِينَ لِمُنْظَمَاتِ الشَّرْطَةِ وَالْأَمْنِ، وَأَفْرَادًا مِنَ السِّيَاسِيِّينَ وَمِنَ الْهَيْئَاتِ التَّابِعَةِ لـ 190 دَوْلَةٍ أَعْضَاءٍ، وَمِنْ بَيْنَهُمْ، مِنْ سَنَةِ 2008، دَوْلَةَ حَاضِرَةِ الْفَاتِيكَانِ أَحْيَاكُمْ بِحَرَارَةٍ، وَمِنْ خِلَالِكُمْ أَوْدَ التَّوَجُّهِ بِالتَّحِيَّةِ لِلشَّخْصِيَّاتِ الْمُؤَسَّسَاتِيَّةِ بِبِلْدَانِكُمْ وَإِلَى جَمِيعِ مَوَاطِنِكُمْ، وَالَّذِينَ مِنْ أَجْلِ أَمْنِهِمْ تَعْمَلُونَ بِمَهْنَةٍ وَبِرُوحِ الخِدْمَةِ. أَحْيَى بِصِفَةِ خَاصَّةٍ، الْوُزَرَآءَ - وَزِيرَ الْخَارِجِيَّةِ الْإِيطَالِيَّ، وَالَّذِي تَوَجَّهَ لَنَا بِالْحَدِيثِ، وَأَعْضَاءَ الْحُكُومَةِ الَّذِينَ رَغِبُوا فِي الْحُضُورِ، وَرَيْسَ الْإِتْرِبُولِ، وَالسَّكْرَتِيرَ الْعَامَّ، وَالَّذِي أَشْكُرُهُ عَلَى التَّحِيَّةِ الَّتِي تَوَجَّهَ بِهَا لَنَا.

لَقَدْ اسْتُطْعِمْتُمْ، فِي هَذِهِ الْآيَامِ الْمُخَصَّصَةِ لِلدِّرَاسَةِ وَاللِّبْقَاشِ، أَنْ تُرَكِّزُوا انْتِبَاهَكُمْ عَلَى تَنْمِيَةِ التَّعَاوُنِ الدَّوْلِيِّ لِمُكَافَحَةِ الْجَرِيمَةِ. فِي الْحَقِيقَةِ، مِنْ الْمُهْمِّ زِيَادَةُ التَّعَاوُنِ وَتَبَادُلِ الْخِبْرَاتِ لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الْوَقْتِ، حَيْثُ نَشَاهَدُ، عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَالَمِيِّ، تَفْشِيًّا لِمَصَادِرِ الْعُنْفِ، فِي ظَاهِرَةٍ تَخْطَى الْحُدُودَ وَتَكْبُحُ تَقَدُّمَ الْبَشَرِيَّةِ. مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْمَصَادِرِ: تَطَوُّرُ الْعُنْفِ الْإِجْرَامِيِّ، وَالَّذِي يُمَثِّلُ خَطَرًا يَدْعُو لِلْقَلْقِ الشَّدِيدِ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْعَالَمِ. إِنَّهُ لَمِنْ الْمُهْمِّ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَى هَذَا الْجُهْدِ التَّحْلِيلِيِّ السِّيَاسِيِّونَ الْمَسْؤُولُونَ عَنِ الْأَمْنِ وَالْعَدَالَةِ، وَأَيْضًا الْهَيْئَاتُ الْقَضَائِيَّةُ، وَقُوَّاتُ الشَّرْطَةِ، لِتَمَكَّنَ كُلُّ فِي مَجَالِهِ وَفِي إِطَارِ صِلَاحَاتِهِ، مِنْ إِتْمَامِ عَمَلِهِ بِفَاعِلِيَّةٍ، بِفَضْلِ التَّبَادُلِ الْبِنَاءِ. فِي الْحَقِيقَةِ، تَسْتَطِيعُ الْهَيْئَاتُ السِّيَاسِيَّةُ، اعْتِمَادًا عَلَى عَمَلِ قُوَّاتِ الْأَمْنِ، وَبِشَكْلِ أَكْثَرِ سَهُولَةٍ، مِنْ تَحْدِيدِ الْمُسْتَجِدَّاتِ الْأَسَاسِيَّةِ الْمُسْتَحْدَثَةِ وَعِلَاقَتِهَا بِالْخَطَرِ عَلَى الْمُجْتَمَعِ، وَبِالتَّالِيِ الْقُدْرَةَ عَلَى إِعْطَاءِ التَّوَجُّهَاتِ التَّشْرِيعِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ وَالْفَعَالَةِ فِي إِطَارِ مَقَاوِمَةِ الْجَرِيمَةِ.

فِي وَفَيْتِنَا الْمُعَاصِرِ، تَتَأَلَّمُ الْعَائِلَةُ الْبَشَرِيَّةُ بِسَبَبِ الْعَدِيدِ مِنَ التَّعْدِيَّاتِ عَلَى الْقَانُونِ وَعَلَى الشَّرْعِيَّةِ، وَالَّتِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ تَتَحَوَّلُ إِلَى أَفْعَالِ عُنْفٍ وَإِلَى أَعْمَالٍ إِجْرَامِيَّةٍ. مِنْ الْمُهْمِّ، إِذَا، حِمَايَةَ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ عَنِ طَرِيقِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ وَالإِلْتِمَازِ الْمُتَجَدِّدِ، عِبْرَ كَافَةِ الْوَسَائِلِ الْمَلَائِمَةِ. فِي هَذَا النِّحْوِ، فَإِنَّ دَوْرَ الْإِتْرِبُولِ، الَّذِي يُمْكِنُنَا تَعْرِيفَهُ بِحَامِيِ الْأَمْنِ الدَّوْلِيِّ، يَتَوَسَّحُ بِأَهْمِيَّةٍ كَبْرَى، بِغَايَةِ تَحْقِيقِ الْخَيْرِ الْعَامِّ، لَأَنَّ الْمُجْتَمَعَ الْعَادِلَ يَحْتَاجُ إِلَى نِظَامٍ وَإِلَى إِحْتِرَامِ الْقَوَاعِدِ لِتَحْقِيقِ التَّعَايُشِ الْاجْتِمَاعِيِّ السَّلْمِيِّ. أَعْلَمُ أَنَّ بَعْضًا مِنْكُمْ يَعْمَلُ أَحْيَانًا فِي ظُرُوفٍ فِي مُنْتَهَى الْخَطُورَةِ، مُخَاطِرًا بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِ حِمَايَةِ الْآخَرِينَ، وَمِنْ أَجْلِ السَّمَاحِ بِنِيبَاءِ هَذَا التَّعَايُشِ السَّلْمِيِّ.

نُدرِكُ الْيَوْمَ أَنَّ الْعُنْفَ يَظْهَرُ عَبْرَ أَشْكَالٍ جَدِيدَةٍ. فِي نَهَائِهِ مَا يُسَمَّى بِالْحَرْبِ الْبَارِدَةِ بَيْنَ الْكَتْلَيْنِ الْغَرِيبَةِ وَالشَّرْقِيَّةِ، وَوُلِدَتْ أَمَالٌ عَرِيضَةٌ، لَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ أَوْقَفَتْ الْحَرَكَاتُ السَّلْمِيَّةُ، عَنْ طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَى حُرْبَةِ الشُّعُوبِ، مَا كَانَ نُمُودَجًا لِلْعُنْفِ السِّيَاسِيِّ الْمُوَسَّسِيِّ. وَلَكِنْ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ أَشْكَالِ الْعُنْفِ تَبْدُو أَكْثَرَ ضَعْفًا، خَاصَّةً فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِأَعْدَادِ الْمَوْجَهَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، هُنَاكَ أَشْكَالٌ أُخْرَى تَتَطَوَّرُ، كَالْعُنْفِ الْإِجْرَامِيِّ، الْمَسْؤُولِ سَنَوِيًّا عَنْ الْعُدَدِ الْأكْبَرِ لِأَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعُنْفِيِّ بِالْعَالَمِ. الْيَوْمَ، تَبْدُو هَذِهِ الظَّاهِرَةُ خَطِيرَةً لِكُونِهَا مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ اخْتِلَالِ التَّوَازُنِ الْاجْتِمَاعِيِّ، لِأَنَّهَا، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، تَضَعُ فِي اخْتِبَارِ قَاسِ سِيَادَةِ كِيَانِ الدَّوْلَةِ.

تُشَجِّعُ الْكَنِيسَةُ وَالْكَرْسِيُّ الرَّسُولِيُّ جَمِيعَ الْعَامِلِينَ فِي مَجَالِ مُحَارَبَةِ آفَةِ الْعُنْفِ وَالْجَرْمَةِ، فِي وَاقِعِنَا هَذَا الَّذِي يَمِيلُ دَائِمًا لِأَنَّ يَتَحَوَّلَ إِلَى "قَرْبَةٍ كَوْنِيَّةٍ". يُمْكِنُ تَحْدِيدُ الشُّكْلَيْنِ الْأكْثَرِ خَطُورَةً لِتِلْكَ الْأَنْشِطَةِ وَهُمَا الْإِرْهَابُ وَالْجَرْمَةُ الْمُنْظَمَةُ. الْإِرْهَابُ، أَفْبَحُ أَشْكَالِ الْعُنْفِ، يَزْرَعُ الْكِرَاهِيَّةَ وَالْمَوْتَ وَالرَّغْبَةَ فِي الْإِتِّقَامِ. إِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ، مِنْ خِلَالِ اسْتِرَاطِيَجِيَّاتِ تَحْرِيْبِيَّةٍ تَتَوَافَقُ مَعَ بَعْضِ مَنْظَمَاتٍ مُتَطَرِّقَةٍ لِتَدْمِيرِ الْأَشْيَاءِ وَلِقْتْلِ الْأَشْخَاصِ، تَحَوَّلَتْ لِشَبْكَةٍ مُظْلَمَةٍ مِنْ التَّوَاطُؤِ السِّيَاسِيِّ، بِاسْتِخْدَامِ بَعْضِ الْوَسَائِلِ التَّقْيِيَّةِ الْمُعَقَّدَةِ، وَمَوَارِدِ مَالِيَّةٍ ضَخْمَةٍ، وَتَطْوِيرِ مَشْرُوعَاتٍ بَعِيدَةِ الْمَدَى (رَاجِعُ "مُلَخَّصُ الْعَقِيدَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لِلْكَنِيسَةِ"، رَقْمُ 513). تَنْشُرُ الْجَرْمَةُ الْمُنْظَمَةُ، مِنْ جِهَتِهَا، فِي أَمَاكِنِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ وَهِيَ غَالِبًا مَا تَتَحَرَّكُ وَتُصِيبُ فِي الظَّلَامِ، بِالْخُرُوجِ عَنْ أَيِّ قَاعِدَةٍ؛ وَتَحَقِّقُ أَهْدَافَهَا مِنْ خِلَالِ أَنْشِطَةٍ غَيْرِ قَانُونِيَّةٍ وَغَيْرِ أَخْلَاقِيَّةٍ كَالْتِجَارَةِ بِالْبَشَرِ، عَلَى سَبِيلِ الْمِنَالِ - وَالَّتِي تُمَثِّلُ شَكْلًا حَدِيثًا مِنْ أَشْكَالِ الْعُبُودِيَّةِ - وَالْإِتِّجَارِ بِالسِّلْعِ وَالْمَوَادِّ الْمُخَدَّرَةِ وَالْأَسْلِحَةِ، وَتِجَارَةِ الْمُنْتَجَاتِ الْمُزْبِقَةِ، وَكَذَلِكَ تِجَارَةِ الْأَدْوِيَّةِ، الَّتِي غَالِبًا مَا تَسْتُخْدِمُ الْفُقَرَاءَ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تُعَالِجَهُمْ. هَذِهِ التِّجَارَةُ غَيْرِ الْقَانُونِيَّةِ تُصِيبُ أَكْثَرَ مَقِيَّتَةٍ عِنْدَمَا تَصِلُ إِلَى الْإِتِّجَارِ بِالْأَعْضَاءِ الْبَشَرِيَّةِ لِضَحَايَا أُبْرَاءٍ: إِنَّهُمْ يُصَابُونَ بِالْأَلَمِ وَبِاعْتِدَاءَاتٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَأْمَلُونَ، بَعْدَ مَا سَبَى الْقَرْنَ الْعِشْرِينَ، بِأَنْ تَنْتَهِيَ تَمَامًا، وَلَكِنَّهَا، وَمَعَ الْأَسْفِ، تَعُودُ لِلظُّهُورِ عَنْ طَرِيقِ أَعْمَالِ الْعُنْفِ الْمَصَاحِبَةِ لِلأَنْشِطَةِ الْإِجْرَامِيَّةِ، وَالَّتِي يَقُومُ بِهَا أَشْخَاصٌ وَمُؤَسَّسَاتٌ بَلَا شَفَقَةٍ. إِنَّ هَذِهِ الْجَرَائِمَ تُحْطَمُ تَدْرِيجِيًّا الْمَثَلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُتَوَارِثَةِ مِنَ التَّمَدُنِ، وَتُنْتِجُ كِيَانًا بَرَبْرِيًّا يَنْتَكِرُ لِلْإِنْسَانِ وَلِكِرَامِيَّتِهِ.

يُقَدِّمُ لِي لِقَاءُ الْيَوْمِ مَعَكُمْ، أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْزَاءُ، الْعَامِلُونَ فِي الشَّرْطَةِ الدَّوْلِيَّةِ، فُرْصَةً لِلتَّأْكِيدِ مُجَدَّدًا عَلَى أَنَّ الْعُنْفَ، يُمْخَلِّفُ أَشْكَالَهُ الْإِرْهَابِيَّةَ وَالْإِجْرَامِيَّةَ، هُوَ دَائِمًا مَرْفُوضٌ، لِأَنَّهُ يَجْرَحُ يَعْمِقُ الْكِرَامَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَيَشْكَلُ إِهَانَةً لِكُلِّ الْبَشَرِيَّةِ. مِنْ الْوَاجِبِ إِذَا قَمِعَ الْجَرْمَةُ، فِي إِطَارِ الْقَوَاعِدِ الْأَدْبِيَّةِ وَالْقَضَائِيَّةِ، لِأَنَّ مَقَاوِمَةَ الْجَرْمَةِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَبْرَ احْتِرَامِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَمَبَادِي دَوْلَةِ الْقَانُونِ. فِي الْحَقِيقَةِ، إِنَّ مُحَارَبَةَ الْعُنْفِ يَجِبُ أَنْ تَسْتَهْدَفَ الْجَرْمَةَ وَالِدِقَاقَ عَنِ الْمَجْتَمَعِ، وَلَكِنْ أَيْضًا نُوبَةً وَتَصْحِيحَ الْمُجْرِمِ، لِكُونِهِ دَائِمًا شَخْصًا بَشَرِيًّا، يَتَمَنَّعُ بِالْحُقُوقِ الْأَسَاسِيَّةِ، غَيْرِ الْقَابِلَةِ لِلْجَدَلِ، عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ لَا يَجِبُ أَنْ يُبْنَى مِنَ الْمَجْتَمَعِ، بَلْ أَنْ يُعَالَجَ. فِي ذَاتِ الْوَقْتِ، يَنْبَغِي أَلَّا يَنْحَصِرَ التَّعَاوُنُ الدَّوْلِيُّ صِدِّ الْجَرْمَةِ فَقَطْ فِي الْعَمَلِيَّاتِ الشَّرْطِيَّةِ. فَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَكُونَ التَّحَرُّكُ الرَّدْعِيُّ مَصْحُوبًا بِتَحْلِيلِ شُجَاعٍ وَعَمِيقٍ لِلدَّوَابِعِ الْمُسَبِّبَةِ لِهَذِهِ الْأَفْعَالِ الْإِجْرَامِيَّةِ غَيْرِ الْمَقْبُولَةِ؛ يَجِبُ التَّرْكِيزُ بِتَمَعْنٍ عَلَى عَوَامِلِ التَّجَاهُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْعُوزِ الْمُتَفَشِّيَّةِ بَيْنَ السُّكَّانِ وَالَّتِي تَكُونُ دَافِعًا لِلْعُنْفِ وَلِلْكَرَاهِيَّةِ. مِنَ الضَّرُورِيِّ أَيْضًا الْإِتِّزَامُ، خَاصَّةً عَلَى الْمُسْتَوَى السِّيَاسِيِّ وَالتَّرْبُويِّ، يَحُلُّ الْمَشَاكِلَ الَّتِي قَدْ تُغْذِي الْعُنْفَ، وَتُعَزِّزُ الظُّرُوفَ لِإِقْفَافِ إِتِنَاجِهَا وَتَطَوُّرِهَا.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الرَّدَّ عَلَى الْعُنْفِ وَعَلَى الْجَرْمَةِ لَا يَجِبُ أَنْ يُتْرَكَ فَقَطْ لِقَوَاتِ حِفْظِ الْأَمْنِ، وَلَكِنَّهُ يَنْتَلِبُ مَشَارَكَةَ جَمِيعِ الْمَعْنِيِّينَ وَأَصْحَابِ التَّأثيرِ عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ. إِنَّ هَزِيمَةَ الْعُنْفِ هِيَ التِّزَامُ بِشَرِكٍ فِيهِ لَا فَقَطْ الْمُؤَسَّسَاتُ وَالْهَيْئَاتُ الْمُهْتَمَّةُ، بَلْ أَيْضًا الْمَجْتَمَعُ بِكُلِّ مَكُونَاتِهِ: الْعَوَائِلُ، وَالْهَيْئَاتُ التَّرْبُويَّةُ كَالْمَدَارِسِ وَالْمُنشآتِ الدِّينِيَّةِ، وَوَسَائِلُ الْإِعْلَامِ وَالِاتِّصَالِ الْاجْتِمَاعِيِّ، بَلْ وَكُلِّ مَوَاطِنٍ. فَلَکُلِّ قَرَدٍ جُزْءٌ خَاصٌ مِنَ الْمَسْؤُولِيَّةِ لِإِنْبَاءِ مُسْتَقْبَلِ مِنَ الْعَدَالَةِ وَالسَّلَامِ.

أَتُوجِّهُ مُجَدَّدًا بِالشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ إِلَى جَمِيعِ الْمَسْؤُولِينَ التَّنْفِيزِيِّينَ وَكُلِّ الْإِتِّرَبُولِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِكُمْ، وَالَّذِي لَيْسَ دَائِمًا سَهْلًا، وَغَالِبًا مَا لَا يُدْرِكُ الْجَمِيعُ غَايَاتِهِ النَّهَائِيَّةَ الصَّحِيحَةَ. لَا يُمْكِنُ أَنْ يَغِيبَ عَنْ فِكْرِي التَّعْبِيرُ عَنِ الشُّكْرِ مِنْ أَجْلِ التَّعَاوُنِ النَّفِيسِ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الْإِتِّرَبُولُ لِقَوَاتِ الدَّرْكِ الْخَاصَّةِ بِدَوْلَةِ حَاضِرَةِ الْفَاتِيكَانِ، وَخَاصَّةً فِي مَنَاسِبَاتِ زِيَارَتِي الدَّوْلِيَّةِ. الرَّبُّ الْعَدِيمُ وَالرَّحِيمُ يُبْرِكُكُمْ فِي إِتْمَامِ مَسْؤُولِيَّاتِكُمْ، وَبِسَاعِدِكُمْ فِي الْخِدْمَةِ الْمَجْتَمَعِيَّةِ، وَبِحِمَايِكُمْ وَبِحِرْسِ مَعَاوَنِيكُمْ وَأَسْرُكُمْ. أَشْكُرْكُمْ عَلَى حُضُورِكُمْ؛ وَالرَّبُّ يُبَارِكُ جَمِيعَكُمْ.

© جميع الحقوق محفوظة 2012 - دار النشر الفاتيكانية

©Copyright - Libreria Editrice Vaticana